

الباحث السياسي أنطوان بصبوس: الطلاق بين الرياض وواشنطن حاصل لا محالة والنفط العراقي يسيل لعاب الأميركيين

البيت الابيض ساند الاسلاميين في الجزائر لأنهم فازوا بالانتخابات ولأن ضررهم لم يكن دوليا

باريس - القدس العربي من عادل قسطل:

أصيب العالم كله بصدمة قوية ذات 11 أيلول (سبتمبر) وراح الصحفيون والسياسيون والمفكرون الغربيون يبحثون عن مراجع تسمح لهم بفهم جوانب الظاهرة الاسلامية التي خفيت عنهم أو أخفاها عنهم الخبراء الذين كانوا يعتقدون أن شوكة الاسلاميين انكسرت وأن خطرهم وهمي. وانتبهوا حينئذ لأفكار الباحث السياسي اللبناني أنطوان بصبوس الملخصة في كتابه الاسلاموية ثورة مجهضة؟ الصادر عن دار هاشيت بباريس. وبعد عام من الاعتداءات علي نيويورك وواشنطن صدر لأنطوان بصبوس عن دار بيران بباريس كتاب جديد يمكن أن يترجم عنوانه للعربية كالآتي: حول العربية السعودية - من الوهابية الي بن لادن: أسباب الزويعة . وصدور هذا الكتاب كان فرصة لزيارة مؤلفه في مكتبه بمرصد الدول العربية بباريس للحديث حول القضايا التي تحرك العالم اليوم علي ضوء ذلك الحدث الذي مرت عليه سنة.

يتحدث بصبوس عن بن لادن بهدوء يتناقض مع حالة الحماس، بل الهيجان التي تميز غيره من المحللين الفرنسيين في حديثهم عن المعارض السعودي كأنه لا يري فيه ظاهرة تستحق الهلع. عن ذلك قال: اطلعت علي برنامج بن لادن منذ 1998 ورأيت أن الرجل يفي بما يقول وله القدرة علي ابتكار هجمات وتنفيذها وله القدرة الذهنية والمالية واللوجستية لوضع مشروع وتنفيذه. وسبق له تنفيذ تفجيرات في السعودية والقرن الافريقي ولم أفاجأ شخصيا بما حدث في 11 أيلول (سبتمبر) الاخير لأن بن لادن وعد بضرب أمريكا في عقر دارها. ولأن أفاجأ في المستقبل . لقد كان المحلل السياسي والمستغرب جيل كليل من أكبر الخاسرين في النقاش السياسي الذي تبع أحداث 11 أيلول (سبتمبر) لأنه كان يردد أن الاسلاميين هُزموا ولم يعد لهم ثقل يذكر في الساحة الدولية. واتهمته مجلة أسبوعية سياسية بالتواطؤ الفكري مع قادة الجزائر العسكريين الذين أقتنعوا بأنهم انتصروا علي الاسلاميين. امتنع بصبوس عن انتقاد كليل ولكنه قال: المهنة التي نمارسها تفرض علينا اقامة بناء متين جدا لكي لا تهزه عواصف المعلومات والتحليل. ويجب أن يكون الباحث في مثل هذه المسائل محصنا ضد الترويجات التي تصدر عن الحكومات والتيارات التي لها مصلحة ما. عندما تكون قويا لا ترتبك وتصنف الاحداث بنفسك وتضعها في مكانها من البناء الذي أعدته أنت .

ضمّن بصبوس عنوان كتابه عبارة من الوهابية الي بن لادن كأن الامر يتعلق بمرحلتين من مراحل التاريخ السعودي. غير أن الباحث اللبناني الذي يعيش بباريس منذ فترة طويلة يعتقد أن بن لادن تمتع بمحمية أفغانية جعلته يطبق النظرية الوهابية بكاملها ولم يتوقف - كغيره من السعوديين - عند طاعة ولي الامر . والوهابية - بالنسبة لبصبوس - فكرة ثورية في مضمونها، ولكنها تخضع لكوابح وهي تغلي في القدر دون أن تنفجر ، ولكنها جعلت الافغان العرب خارج السعودية يؤمنون بأنهم قادرون علي اسقاط الامبراطوريات كما حدث للاتحاد السوفييتي.

الوهابية فكرة ثورية وأصحابها يؤمنون بهزم الامبراطوريات

هل هذا صحيح؟

بصبوس: إنهم ينسون أن التحالف الدولي الذي كانوا أداة في يده - أو جزءا منه - هو الذي أسقط الاتحاد السوفييتي. ولكن نظريتهم هذه جعلتهم ينظرون نحو أمريكا لضربها وبن لادن - حسب الباحث اللبناني - مقتنع بصورة مطلقة أنه قادر علي هزم أمريكا واستنزافها بإمكانيات محدودة جدا. وأضاف: إنه لم يصنع قنبلة واحدة ولا صاروخا واحدا واستخدم الأدوات المخترعة في أمريكا لضربها بها عبر سلاح واحد هو الكاميكاز. لقد كان هذا السلاح فتاكا لأنه يتكون من رجال مجهولين غاصوا في المجتمعات التي نزلوا فيها ولم يطلع أحد علي أهدافهم. هذا الأمر أساء جدا للأقليات العربية والمسلمة في العالم الغربي، إذ بدأ الشك يراود أذهان الاوروبيين ازاء كل مسلم، والاندماج بين المهاجرين والمجتمعات التي يعيشون فيها تراجع خطوات نحو الوراء .

سألته: ألا تخشي أن تنتقم المجتمعات الغربية من مهاجريها العرب والمسلمين؟ فأجاب: هذه المجتمعات مبنية علي حرية الرأي والمعتقد وعلي أسس ديمقراطية، وتخليها عنها هو إنكار لذاتها وقيمها. لا أظن أن المجتمعات الغربية مستعدة لممارسة قمع بحق الجاليات المسلمة. ولكن قد يكون شرعا أن تكون هذه المجتمعات يقظة ازاء المنحرفين والتيارات المتطرفة .

ولكن أنطوان بصبوس يعيش في فرنسا ولا شك أنه شاهد بعينه ما حدث في نيسان (أبريل) الماضي عندما هزم اليميني المتطرف جون ماري لوبن الوزير الاول السابق ليونيل جوسبان في الانتخابات الرئاسية. أليس ذلك خير دليل علي تعاطف الفرنسيين مع خطاب لوين العنصري؟ رد بصبوس بنفس الهدوء الذي يميزه عندما يتحدث عن المسائل المحرجة: إذا درسنا النتائج التي حصل عليها لوين في الانتخابات الاخيرة والتي سبقتها، نجد أن أداءه لم يتحسن كثيرا. حكومة جوسبان تراخت مع مسألة الامن وبعض الاحداث التي لا

علاقة لها بالمهاجرين العرب والمسلمين وهذا ما سمح لجون ماري لبون بالفوز علي جوسبان. ولكن أخشي أن تتركب عقدة خوف لدي المواطنين في الغرب وأن يصوتوا المرشحين يدعون الي تحديد الحريات ويركزون علي كثرة المهاجرين من أصول عربية واسلامية .

يوجد في الكتاب الاخير لمدير مرصد الدول العربية باب بعنوان الطلاق السعودي - الأمريكي . ويرى المؤلف أن هذا الطلاق سيذهب الي بعيد لأن العلاقات بين أمريكا والسعودية ليست علاقات شعوب ولا توجد قيم مشتركة تجمع بين الأمريكيين والسعوديين . والتحالف بين الطرفين - بالنسبة له - كان دائما ماديا و يشبه زواج المصلحة الذي لا يصمد أمام الهزات والخضات .

والكاتب مقتنع بأن العلاقات الأمريكية - السعودية لن تصمد أمام السخط الشعبي: منذ أحداث 11 أيلول (سبتمبر) يريد السعوديون أن تكون بلادهم في وضعية المواجهة أمام أمريكا حول قضايا عديدة مثل القضية الفلسطينية والعراقية وأفغانستان، ويريدون سحب القواعد الأمريكية. الغضب بلغ مستوي شعيبا في البلدين، وقد بلغت مقاطعة البضائع الأمريكية في السعودية أرقاما لافتة (انخفاض بين 35 و40 بالمئة). الشيء الوحيد الذي يؤخر الطلاق هو كون السعودية تنتج 8 ملايين برميل نفط يوميا، وكون أمريكا لم تجد حتي الآن مصدرا لاستبدالها. ومضي يقول انا أفهم الحملة ضد العراق في هذا الاطار. الولايات المتحدة تريد استبدال النفط العراقي بالنفط السعودي. السعودية ارتكبت خطيئة عندما لم تضبط ايقاعات الوهابيين كما فعل الملك عبدالعزيز في مطلع القرن وتركتهم يتحدثون الدول الكبرى، وستدفع الثمن غالبا .

السيف السعودي لم يعد قاطعا

جزء آخر من الكتاب يحمل عنوان مملكة الكتاب والسيف ، وهو يعرض مختلف مراحل النظام السعودي. قال بصبوص عن هذا النظام اليوم: السيف السعودي لم يعد قاطعا كما كان في عهد الملك عبد العزيز ، وكثرة الاموال لدي العائلة المالكة وصرفها في مستلزمات القصور وملذات الحياة أنستها أصول اللعبة السياسية الدولية وجعلتها تسترخي في اعتمادها علي أمريكا. لقد غذت الوهابية وأعطتها سلطة كبيرة وكانت في ذات الوقت حليفة أمريكا، ولست أدري كيف ستدير الطلاق بين الاسلاميين وأمريكا. إنها تتعرض لضغوط متناقضة، فهي مرشحة للاهتزاز سواء تخلت عن الوهابيين أو أمريكا. عندما ثار الاخوان علي الملك عبدالعزيز في 1929 ضربهم وأسكتهم وتعاطي مع القوة النافذة حينئذ - وهي بريطانيا - باعتباره الأمر والنهائي. أمريكا عوضت بريطانيا اليوم وعندما تمرد الاخوان الجدد عجز خلفاء عبدالعزيز عن ضبط البيت السعودي . ويعتقد الباحث ان هناك مشكلة أخرى تكمن في توجيه أموال الزكاة: معلوم أن الجهاد هو واحد من المقاصد الثمانية لها، وسعوديون كثيرون يعتقدون بأن بن لادن مجاهد وأنه لا يسرق أموال الزكاة: معلوم خصوصا أنه أتفق أمواله الشخصية وعاش حياة لا علاقة لها بالترف والبذخ بل مليئة بالتعب والشقاء والقهر . والمسألة هي مسألة تباين في طريقة العيش، و المزاج الأمريكي والمزاج السعودي لا يتماشيان. فلأمريكيين رغبة في التنفيذ السريع والسعوديون لا يستطيعون الامتثال للطلبات الأمريكية بشكل آلي ويحتاجون الي وقت كبير لاقتناع العلماء والشعب بتغيير المناهج التعليمية التي تحرض علي قتال الكفار واليهود والمسيحيين. ان السعوديين عاجزين عن الاستدارة بزاوية 180 درجة لارضاء أمريكا.

وماذا عن مستقبل الوهابية؟

أجاب الكاتب اللبناني: الوهابية في السعودية هي الشعب ووجدت قبل خمسين عاما من الثورة الفرنسية وثلاثين عاما قبل استقلال أمريكا، وهناك تسعة أجيال تعلمت أن تكون وهابية. لا يمكن أن تنتكر السعودية لهويتها بين عشية وضحاها بناء علي طلب أمريكي. الوهابية أكثر تجذرا في السعودية من آل سعود أنفسهم. لقد ترف هؤلاء وبقيت الوهابية متغلغلة في الشارع والمجتمع والجامعة بينما يبقى آل سعود معزولين الي حد ما في قصورهم. انتقام الاسلاميين من الشعب في الجزائر وارتكابهم جرائم بشعة في حق المدنيين جعل بعض الخبراء (أمثال جيل كيبيل) يعلنون أن ذلك معناه اليأس والانهزام. صحيح أن التجربة الجزائرية أعطت مؤشرات أخطأ البعض في تأويلها، فأمريكا نفسها قابلت المذابح الجزائرية بشيء من اللامبالاة، وها هي اليوم ترفع شعار محاربة الارهاب بعدما أهدرت الحرب الاهلية في الجزائر آلاف الارواح وكان الارهاب بدأ في 11 أيلول (سبتمبر) فقط.

ولكن الدول الكبرى بالنسبة لأنطوان بصبوص هي وحوش باردة تعامل غيرها بشيء من الاستخفاف والاحتقار . قال: في مطلع التسعينات كان التحالف مع الاسلاميين في العالم قائما وكانت الجبهة الاسلامية للانقاذ - بالنسبة للأمريكيين - الفائزة في الانتخابات النيابية عام 1991 وحُرمت من الفوز. الأمريكيون لم يتقبلوا ذلك ورأوا في النظام الجزائري نظاما مترهلا وغير قادر علي حماية نفسه الي درجة اللجوء الي التزوير. كيف تتقد أمريكا نظاما غير قادر علي انقاذ نفسه؟ الانظمة العربية لا تزول الا بالانقلاب والرئيس الحاكم لا يمكن ابعاده الا بالموت الفراشي أو الانقلاب، وأمريكا لم تتحمس للتغيير خاصة أن النظام أثبت عدم جدارته منذ الاستقلال الي ذلك الحين. كان الضرر محصورا في الجزائر ولم يكن ظاهرة عالمية. الموقف الأمريكي كان مؤيدا للاسلاميين ثم محايدا ثم تغير. ليس سهلا علي الغربيين تكذيب نتيجة الاقتراع وأن يتأمروا مع انقلابيين لتغيير مجري انتخابات كانت الحرة الوحيدة في تاريخ الجزائر .